المحاضرة الثالثة: أسباب بروز التفسير الموضوعي في العصر الحديث، وأهميته وفوائده.

أولا: أسباب بروز التفسير الموضوعي في العصر الحديث

يمكن بيان أهم أسباب بروز التفسير الموضوعي في العصر الحديث في النقاط الرئيسة الآتية.

أ: دخول عناصر جديدة إلى ميدان الدراسات الإسلامية والقرآنية من غير المسلمين، من المبشرين والمستشرقين، والتوسع فيها لخدمة أهداف كنائسهم، أو لخدمة دولهم التي أغارت على العالم الإسلامي، وقد أقام هؤلاء مراكز علمية تُنْفَق عليها الأموال الطائلة من الكنائس والدول والجمعيات لدراسة الإسلام والمسلمين؛ والكيد لهم مما أدى إلى ظهور شبه ومطاعن جديدة في القرآن، وفي سائر جوانب علوم الإسلام، وكان ذلك يقع نتيجة الأخطاء العلمية عند المستشرقين في فهمهم الإسلام، أو نتيجة حقد، ودس، وكيد للإسلام تحت ستار الدراسات العليمة والمنهجية؛. وهذا هو الغالب عليهم، مما توجب وجود هبة جادة وقوية لمجابهة الغارة الكافرة تمثلت في الرد العلمي على شبهات المبشرين ومطاعن المستشرقين وبيان عظمة القرآن وارتقائه فوق كل الشكوك والأوهام، وشموله لحقائق الحياة، وسنن الاجتماع، ومن ذلك: كتاب (الوحي المحمدي) للشيخ محمد رشيد رضا – رحمه الله.[1]

ب: مواكبة التطور العلمي المعاصر والذي يعتمد على التخصص الدقيق والتعمق المنهجي وتجميع الجزئيات في أطر عامة، وهو ما دفع بالمفكرين والعلماء المسلمين إلى النظرة الكلية في القرآن الكريم فاستخرجوا من بذلك الموضوعات العامة الموحدة وقدموا الدراسات في التفسير الموضوعي.[2]

ج: تنبه كثير من الجامعات الإسلامية وخصوصا أقسام التفسير والدراسات الإسلامية فيها إلى ضرورة الاهتمام بهذه البحوث القرآنية الموضوعية باعتبارها حاجة العصر وحاجة المستقبل؛ فالكتابة فيها حاجة تقتضيها ظروف الواقع وظروف الناس في هذا الزمـــان لما يترتب عليها من فوائد عديدة، لذلك وَجَّهَ الأساتذة في هذه الجامعات

---

[1] ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي – عبد الستار فتح الله سعيد – ص:34 – 35.

[2] ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق – صلاح الخالدي – ص: 54.

طلابهم لتناول التفسير الموضوعي بالبحث والدراسة لعلهم بذلك يسهمون في خلاص الأمة ونجاتها مما تجد وتعاني.[3]

ثانيا: فوائد التفسير الموضوعي.

تبرز فوائد التفسير الموضوعي في أهم الجوانب الآتية:

أ: إن جمع الآيات يعطي الناظر في الموضوع الواحد فكرة عام، تجعله يستقصي كل ما ورد فيه من النصوص القرآنية دفعة واحدة ليخرج من الموضوع وقد أحاط به إحاطة تامة.[4]

ب: بالتفسير الموضوعي يتم توسيع دلالات ومفاهيم الآيات القرآنية، وإضافة معان أخرى جديدة قد لا يلتفت إليها السابقون في أنواع التفسير الأخرى.[5]

ج: إن التفسير الموضوعي يمكن الباحث من الوصول سريعا إلى الهدف المنشود والمقصد من بحثه دون عناء أو تعب بين ما ملئت به من كتب التفسير الموضعي من أبحاث لغوية أو فقهية مما قد يعيقه نوعا ما في تسريع البحث والإحاطة به.[6]

ثالثا: أهمية التفسير الموضوعي:

قد أشكل على بعض قاصري الفهم كيف لنصوص الوحي المحددة والثابتة أن تلبي حاجات المجتمعات في شتى الميادين المتجددة والمتزايدة، وتساير الأفكار والفهوم المتولدة والمستمرة، وتجيب على النوازل المتغيرة بتغير الأعصار والأمصار، وتوضح هدايات الإسلام لكل ذلك؛ وفي العناصر الرئيسة الآتية التي توضح جوانب من أهمية التفسير الموضوعي إجابة على الإشكال السابق:

1: عن طريق التفسير الموضوعي يستطيع الباحث أن يبرز جوانب جديدة من وجوه إعجاز القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه، فكلما جدت على الساحة معطيات جديدة لتطور الفكر البشري، يعايشها المفسر، ويحيط بدقائقها وحقائقها ثم يلجأ إلى القرآن

---

[3] ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي – عبد الستار فتح الله سعيد – ص:34 – 35.

[4] التفسير الموضوعي للقرآن الكريم – أحمد سيد الكومي – ص: 19.

[5] ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق – صلاح الخالدي – ص: 56.

[6] ينظر: البداية في التفسير الموضوعي – عبد الحي الفرماوي – ص: 68 وما بعدها.

الكريم وإلى السنة النبوية الشريفة ليستنطق النصوص الشريفة ويميط اللثام عن وجوه جديدة من الهدايات القرآنية؛ ويجد أهل الاختصاص في كل فن أن المعجزة الخالدة الباقية تقيم الحجة على الأجيال وأن في القرآن من الكفاية والغناء عن كل شيء.[7]

2: في ظل مشاكل العصر ومعطيات الحضارة يحتاج الناس إلى معرفة هدي الوحي غاية الاحتياج، وإلى فهم ما حواه من شمول موضوعي بالغ غاية الكمال وإلى إدراك ما يُقدِّمه لهم من حلول لمُشكلاتهم النفسية والاجتماعية، ومُعضلاتهم الأخلاقية والاقتصادية، ولا يتحقق ذلك إلا بدراسات علمية جادة لموضوعات القرآن الكريم، ثم تنصب أمام الناس مثلاً أعلى، وجبلاً ممدوداً للنجاة من هذه المحنة العالمية الطاغية.[8]

3: يعطي التفسير الموضوعي الفرصة للعلماء والباحثين المسلمين بتأصيل الكثير من العلوم الإنسانية والطبيعية والحضارية المختلفة، تأصيلا قرآنيا شرعيا، تتكون لها شخصيتها وهويتها القرآنية[9].

4:تصحيح مسار الدراسات العلمية وتأهيلها.

ما من شيء من العلوم إلا وله في القرآن ما يُشير إليه بالعبارة أو بالإشارة، فالقرآن إذن يؤهِّلُ هذه العلوم ويُصحِّحُ مسارها لتسير مع القرآن في اتجاه واحد وتخدم هدفاً واحداً فعلم أصول التربية القرآنية وأصول علم الاقتصاد الإسلامي وأصول الإعلام وغيرها كل هذه العلوم تحتاج إلى أن تنضبط بتوجيهات القرآن وتعليماته ليجلي جوانبها ويُحدد ملامحها ويربطها بالحياة، ومن ثمَّ يرتب المجال لكلِّ دارسٍ كي يربط تخصصه بهدايات الوحي ويصنع الحياة على عينه.[10]

5: التفسير الموضوعي يعد من أهم الوسائل المعينة على درء كثير من الشبهات التي يثيرها أعداء الدين، ويلبسون بها على عقول المستضعفين والسفهاء في كثير من الدراسات

---

[7] مباحث في التفسير الموضوعي – مصطفى مسلم – ص:30.

[8] ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي – عبد الستار فتح الله سعيد – ص:42.

[9] التفسير الموضوعي – إشكالية المفهوم والمنهج – سليمان الدقور – مجلة دراسات – علوم الشريعة والقانون – الجامعة الأردنية – المجلد:41 – العدد:1 – 2014م – ص: 115.

[10] أهمية التفسير الموضوعي ومنهجيته في معالجة القضايا المستجدة – أحمد عبد الكريم الشوكة – مجلة كلية الإمام الأعظم أبو حنيفة – جامعة العراق – 1435هـ - 2014م - العدد:18 – ص:149.

القرآنية والتاريخية.

فجمع الآيات المتحدة الموضوع يمكن الباحث من دفع التعارض الظاهري بين النصوص، كما يمكنه من إبطال دعوى العداوة بين الدين و العلم.[11]

[11] ينظر: البداية في التفسير الموضوعي – عبد الحي الفرماوي – ص: 67 وما بعدها.